# قبيلةٌ من صخورٍ وأسلاف

كيف انتصبتَ وأعطيتَ الجلالَ مدَى؟

وقد حملتَ على أكتافِكَ الأَبَدَا !

كأنّما هذهِ الأحجارُ أزمنةٌ

رُصّتْ على بعضِها حتى اسْتَوَتْ جسدا

نَعُدّها حينما نرقَى مدارجَها

ونثني دون أنْ نُحصي لها عددا

وما بَحَثْنَا عن الأسلافِ في حجرٍ

إلا صحا زمنٌ يحكي بما شَهِدَا

غابَ الجدودُ وما غابتْ حقيقتُهُمْ

فلم يزلْ صَوتُهُمْ بالصّخرِ مُتّحِدَا

فيا رهينَ الليالي في سكينتِهِ

يعيشُ كالنّاسِ إنْ سَعْدًا وإنْ نَكَدَا

قبيلةٌ من صخورٍ أنتَ، أمْ بَشَرٍ

تَوَطّنوا هذهِ الآكامَ والنّجُدَا؟!

---

يا مَنْ يُسَمّرُ في العلياءِ ناظرَهُ

كأنّهُ يتهجّى الأنجمَ الرّصَدا

كأنّهُ من أعاليهِ يُطِلّ على

نبوءةٍ، يجتلي فيها المصيرَ غَدَا

كيف انتصبتَ؟! ومن أهداكَ هيبتَهُ

كي تكتسي جبروتًا مطلقًا صمدا؟!

هل مَسّكَ الجِنّ؟! أمْ ألقتْ ملائكةٌ

عليكَ ما أُوتِيَتْ من ربّها مَدَدَا؟!

وأنتَ.. هل تنتمي للأرضِ مُنغَرِسًا

فيها، تُجَسّدُ من أوتادِها وَتَدا؟!

أمْ تنتمي للأعالي حَدَّ أنْ رفعتْ

بِكَ السماواتُ، من عمدانِها عَمَدا؟!

أمْ أنتَ في حيرةٍ صَمَّاءَ بينَهما؟

ضَيَّعتَ ذاتكَ في رحب الفضاءِ سُدى!

مسافرٌ في تضاريسِ الشرودِ إلى

لا أينَ، تضربُ في الآفاقِ مُجتَهِدا!

مُشَرَّدٌ مثلما الإنسانِ؛ مُلتَبِسٌ

في الانتماء، ولم تَمْسَسْكَ نارُ هُدى

أُصغي إلى صَمتِكَ الدهريِّ يهمسُ لي

مَنْ لم يجدْ ذَاتَهُ فيهِ فلن يَجِدَا!

---

يا مَنْ يُرَبِّي قُرانا في صلابتِهِ

نَهْجًا عليهِ يُرَبِّي الوالدُ الوَلَدَا

نُصغي لأسرارِكَ العُظمى ونرصدُها

فهل تُحِسّ ُ بمَنْ أصغَى ومَنْ رَصَدَا؟!

ويا صخورًا قَرَأْنَا في ملامحِها

ملامحَ الأهلِ تاريخًا ومُستَنَدَا

هذي الجلاميدُ أسفارٌ مُكَدّ َسَةٌ

تشتاقُ لو َلامَستْ عقلًا وليسَ يَدَا

نجولُ عَبْرَكَ في أغوارِ مكتبةٍ

من التراثِ، ولا ندري لها أَمَدَا

يقالُ: ما برحتْ بئرُ الحياةِ هنا

نَضّ َاحَةً ما رَوَتْ من مائها أحدا!

يقالُ: إنّ َ لها سِحرًا تَمَسّ ُ به

مَنْ ذاقَها فيعيشَ الخُلدَ والأبدا!

يا حارسَ البئرِ.. لا بئرٌ ولا حَرَسٌ

لكنّ َهُ الوَهْمُ في أذهانِنا اتّ َقَدَا

فانضحْ بعُذْرِكَ عُشّ َاقَ السرابِ إذا

تَخَيَّلُوكَ مُقِيمًا تحرسُ الزَّبَدَا

لو أنَّ دَمْعِي شهيدٌ حين أَذرفُهُ

لم أُحْصِ ما ذَرَفَتْ عيني من الشُّهَدَا!

تَشَوَّفَتْ لكَ في نجوايَ خاطرةٌ

فأَشْعَلَتْني خيالًا زَيتُهُ نَفِدَا

أرى كهوفَكَ في نفسي فأدخلُها

لكي أضيءَ من الأعماقِ ما خَمَدَا

كأنَّما كلُّ كهفٍ فيكِ صومعةٌ

في النفسِ، تمنحُني الإيمانَ والرَّشَدَا

---

يا توأمَ الشمسِ قِدْمًا.. منذُ أنْ سَكَبَتْ

عليكَ أَوَّلَ ضوءٍ في المدى وُلِدَا!

ما زلتَ والفجرَ مغمورًا ببهجتِهِ

حتى تآخَيتُما نُورًا وسِحرَ ندى

تـــغـــفـــو عـــلـــى سِـــرّ ِكَ الـصـخـريّ ِ مُـلـتَـحِـفًـا

عُـــــريَ الـطـبـيـعـةِ.. بـالـمـجـهـولِ مُـحْـتَـشِـدَا

ولـــلـــفـصـولِ عـــلـــى سـفـحـيـكَ مـعـركـةٌ

شـعـواءُ تُـفـنِـي عـديـدَ الـوقـتِ، والـعُـدَدَا

وأنـــــتَ ســـــاهٍ عـــن الـغـاراتِ مـتّـَكِـئٌ

عـلـيـكَ، لا تـشـتـكـي بـــــردًا ولا صَـهَـدَا

مـــن طُـــولِ بـــالِـكَ طـالـتْ مـنـكَ شـاهـقـةٌ

عـلـيـاءُ تـمـتـدّ ُ صـبـرًا.. تـرتـقـي جَـلَـدَا!

إذا اخـتـلـسـنـا لـــــكَ الـــرؤيـــا تَـخَـطّـَفَـنَـا

بـــرقُ الـشـمـوخِ فـعُـدنـا نـشـتـكـي الـرّ َمَـدا

تُـعـشـي حـقـيـقـتُـكَ الـطّـُولـى مـحـاجـرَنـا

مـــن فـــرط مـــا تـخـرقُ الآفـــاقَ مُـتّـَقِـدَا

هـــــذي مـــرايـــاكَ؛ تـسـتـجـلـي ضـآلـتَـنـا

فـيـهـا، وتـجـلـوكَ مـــن صَـــوّ َانِـهـا أَسَـــــدَا

هُـــنـــا جـــــذورُكَ تـــرســو فـــــي جـوانـحِـنـا

مـــهـــمـا جـبـيـنُـكَ فـــــي عـلـيـائـهِ ابـــتـعـدا

---

يـــا عـاكـفًـا فـــي رحـــابِ الـغـيـبِ مـنـتـبـذًا

مـــــن الـــسـمـاواتِ وجـــهًـــا واحـــــدًا أحـــدَا

تـحـنـــو الـــغـمـامـةُ إنْ حـــامـــتْ بـــقِـمّـَـتِـهِ

حـــتّـَـى تـــلـــفّـَ عـلـيـهِ الـــزنـــدَ والـــعَـضُـدَا

مـــا انـفـكّـَ يـغـرفُ مـــن جـــوفِ الـسحابِ لـهُ

مـــــاءَ الـــوضـــوءِ ويُـــحـيـي الـــوِردَ مُـنـفَـرِدا

لا زَعْـــزَعَـــتْـــهُ ريـــــــاحُ الـــشـــكّ ِ عـــاديـــةً

ولا أصـــابـتـهُ فـــــي مـكـنـونِ مـــا اعـتَـقَـدَا

شـيـخٌ عـــلـى الأُفْـــقِ مـــا زالـــتْ عـمـامـتُـهُ

شـمّـَـاءَ، تـــسـبـحُ فـــي مـعـراجِـهـا صُـــعُـدَا

راسٍ؛ إذا اضـطـربـــتْ فـيـــهِ هـــواجـسُـهُ

صلّى بها، وعلى إيمانِهِ اسْتَنَدَا

يا ناسكًا في رحابِ الغيبِ منقطعًا

كأنّهُ يتلقّى من عُلاهُ نِدَا

بمِثْلِ صَمتِكَ هذا ما جَرَى نُسُكٌ

ولا الإلهُ بهذا العُمقِ ما عُبِدَا!

ماذا تلمّستَ في العلياءِ من خبرٍ

مّا هنالكَ من أسرارِنا خَلُدَا؟!

فنحنُ مِثلُكَ نُسّاكٌ نتوقُ إلى

وحيٍ يُحَرّرُ من أعماقِنا العُقَدا

ما زال يُرعِدُ صوتُ الغيبِ في دَمِنَا

ولم يزلْ دَمُنَا بالصوتِ مُرتَعِدَا

---

يا بيرقًا رَكَزَتْهُ في رُبى (هَجَرٍ)

يدُ الإلهِ، على الآفاقِ مُنعَقِدَا !

مُـمَـوْسِـقًـا كـلَّ ريـحٍ تـسـتـظـلُّ بـهِ

فـتـنـثـنـي عـنـهُ لـحـنًـا حـالـمًـا غَـرِدَا

مـا هَـفْـهَـفَـتْ نـسـمـةٌ إلا صـحـا وَتَـرٌ

فـي الصخرِ، وانسلَّ من طبعِ الحصى، وشَدَا

واجـتـاحَـنـا فـي نـشـيـدٍ لا يـغـيـبُ لـهُ

صـوتٌ مـن الـروحِ إلَّا نـابَ عـنـهُ صـدَى

صـخـرٌ يُـغَـنِّـيـ؛ ونُـصـغـي لا لـنَـفْـهَـمَـهُ

لـكـنْ لـكـي نـتـمـلَّـى نـشـوةَ الـسُّـعَـدَا!

وكـلَّـمـا عَـصَـفَـتْ بـالـلـحـنِ عـاصـفـةٌ

صـارَ الـنـشـيـدُ سـراجًـا هـامـدًا بَـدَدا

قـالـتْ لـنـا (الـريـحُ)..و(الـقـنـديـلُ) مـنـطـفـئٌ

لـن تُـوقِـدوا الـحـبَّ حـتَّـى تُـطـفِـئوا الـحـسـدا!